الفاصلة القرآنية وأثرها في تعدد المعنى

الأستاذ الدكتور
حاكم حبيب الكريطي
جامعة الكوفة - كلية الآداب
الباحثة
فرح باقر أحمد
جامعة الكوفة- كلية التربية للبنات

The Qur'anic passage and its impact on the multiplicity of meaning

Prof. Dr
Governor of Habib Al Kraiti
University of Kufa - Faculty of Arts
Researcher
Farah Baqer Ahmed
University of Kufa - College of Education for Girls

الخلاصة :

خلاصة القول: إن القرآن كتاب الله مدهش ، وخالد ، يدرس الباحثون على مستوى كل النص الذي يبدأ بالسور ، ثم يرتبط بالسورة المقبولة من قبل ومن ثم فإن طريقة تحليل النص والمجموعات هذه تهدف إلى رفع تعدد معاني وإمكانيات آيات السطح في القرآن المجيد. لا يتم تحديده على مستوى الجمل والنص المكتمل ، ولكن يجب البحث عن الترابط بين النص ومحيطه ، وهذا يتطلب بحثًا في العلاقة بين النص والسياق المحيط به ، والبحث عن المستعرضات ، وعلاقة النص بـ موضع إجازة ، تأثير النص ، العلاقات بين الجمل المتتالية في النص تشمل العلاقات الداخلية ، وتمديدها. ولا تخفي أهمية السياق في تحليل النص عند الخفي أو عدم وجود روابط في تحديد الآفاق.

الكلمات المفتاحية : الاعراف ، طه ، الفاصلة ، القرآن الكريم ، موسى ، هارون

Abstract:

Bottom line: that the Qur'an as a book God amazing, and immortal, researchers study on the level of all text starting with the fence, then linked to soorah accepted by and then this way of analyzing text and sets on is intended to raise the multiplicity of meaning and possibilities of surface verses in Quran Majeed. It is not determined on the level of sentences and text completed, but should look for coherence between the text and its surroundings, abroad and this requires research into the relationship between text and context surrounding it, look for brows, and the relationship of text to position for time off, text effect, relations between consecutive sentences in the text include internal relations, and their extension. And do not hide the importance of context in the analysis script when invisibly or absence of links in specifies prospects.

Keywords: customs, Taha, interval, Holy Quran, Moses, Aaron

موسيقا الفاصلة موسيقا لغوية ، تتصلب المعنى اتصال اقويا، فيتمثل شكل المعنى المتضمن في الكلمة ، ولهذا السبب عني نفر من البلاغيين القدماء بمحسنات القرآن الكريم ،إذ لاقيمة لمحسنات لا يطلبها المعنى ، وهو ما يتمثل بالأثر الرمزي الدال عن طريق الربط السببي بين المعنى والتعبير، إذ يصبح الصوت مثير الدلالة.

ولأهمية هذا الأسلوب فإنه لايأخذ شكله الفعّال الإ بخلخلة البنى السياقية اللغوية : الصرفية والنحوية ، والسياقية المقامية أو المتصلة بظروف الكلام. ولهذا السبب كثرت علاقات الفواصل بمستويات الكلام الأخرى ، فأصبحت الفواصل مرنة في مواكبة الحركة للمعنى .

فذهب العلماء الأوائل في مسألة التقديم والتأخير- مثلاً- إلى أنه يأتي لغرض الفضيلة السجعية ، أي أنه يأتي أحيانا لأداء غرض موسيقي بحت[1]، في حين يبدو للبحث ولكثير من القدماء والمحدثين أن التناسب الموسيقي يأتي تبعا للمعنى وليس العكس ، وقد لاحظ عبد القاهر الجرجاني ذلك ، إذ يقول : « فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا... إن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن ، ولما وجد فيه معيب مستهجن »[2].

فمثلا : قال T :﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ ٱلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[3]

و قال T : ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[4]

و قال T :﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[5]

الترتيب المخالف الذي بقي أقوى ما استدل به على إيثار رعاية الفواصل للتشابه الصوتي وحده من دون مراعاة أي معنى، فهو الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون (H)، قال الزركشي :«ولما كان السجع في موضع ، قيل :﴿ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ

﴿[6]، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون، قيل :﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[7]..»[8]، أي تقديم الفاضل على الأفضل،لأجل إقامة السجع في الفواصل. وهذا ما لا يرجحه البحث لأسباب سيأتي ذكرها تباعا .

وقد ردّ الزركشي (794هـ) القول بأن الفائدة هي المحافظة على السجع ، وقال إنّ الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنىً واحداً،أي يأتي بالقصة الواحدة أكثر من مرة بألفاظ مختلفة ، لتحدي العرب على ان يأتوا بمثله ، وقد أيدّ هذا الرأي بعض المتأخرين (9) .

ويرى أحد الباحثين [10] أنّ السّحرة فضلوا من شابههم في ثبات القلب فهارون (B) لم يخف ولم يرهب؛لأنّ الخوف غير مسوّغ بعد النبوّة ، وقد أظهر السياق في سورة طه خوف موسى (B) من الفشل وذلك في قوله T﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[11]،ولذلك فضّل السحرة هارون على موسى في هذا المقام ، ولمّا لم يظهر التصريح بخوف موسى (B) في قصة سورة الأعراف وسورة الشعراء،لذلك جاء الترتيب مطابقا للواقع ، ثم يقول : « إنّ إعادة القصة الواحدة بأساليب مختلفة تعبرّ عن تجارب إنسانية ومواقف مختلفة للشخصيات معززة بمسوغات جمالية ودلالية تضعنا في قلب الحدث لفهم ما هو كليّ وجوهريّ في الإنسان فيتبين ما يحدث لأيّ فرد له الشخصية القصصية نفسها يزج في ظروف كتلك التي وجد نفسه فيها»[12]

ومع أنّي اتفق مع الباحث في أنّ القصة الواحدة تعاد بأساليب مختلفة ، لتبين مواقف إنسانية ، ولكنّي لا اتفق معه تماما في أنّ المسوغ للتقديم هنا هو خوف موسى (B)، وبأنّ السحرة قالوا ما قالوا ؛ لأن الخوف ليس مسوغا لادعاء النبوة ، فقدّموا هارون لأنه كان ثابت القلب ..... ذلك بأنهم لم يدركوا الخوف الذي شعر به موسى لأن ما أوجسه موسى (B) كان في نفسه ، لم يبدِه للآخرين . ثم وإن كان ما ذكره الباحث مسوغا للتقديم ، فهو أحد المسوغات التي يرجحها السياق القريب ، ولكن تتبع الغرض من التقديم والتأخير على مستوى السياق البعيد سيعطي معاني أُخر قد تنفي المعاني الأُول، وسأوضح ذلك انطلاقا من مقولة ابن عربي : « ارتباط آي القران بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني ، منتظمة المباني ... »(13) ، ويمكن أن نطلق على الكلمة في منظور ابن عربي مصطلح النص بمنظوره الحديث ، والوحدات المكونة للنص ليست مجرد وحدات متصلة بعضها ببعض في سلسلة ، بل ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق ، ولابد من أن يتسم النص في مجمله بسمات التماسك والترابط.

ويذهب بعض المحدثين(14) إلى أن أي نص كلامي ـ ملفوظا كان أو مكتوبا ـ لا يوصل إلى معناه الكامل بدراسته وحده مستقلا ، أي بدراسته من الناحية الصوتية ومن الناحية النحوية ومن الناحية المعجمية ، بل يجب أن تدخل في تقدير معناه عناصر أخرى ، تكون والعنصر الكلامي كلا متكاملا ، بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى (15)، ودراسته من جوانب متعددة أهمها الترابط أو التماسك ، ووسائله ، وأنواعه ، والإحالة أو المرجعية وأنواعها ، والسياق النصي ، والعلاقات النصية ، والبنى النصية الكبرى ، وهذه البنى الكبرى لا تؤدي إلى التماسك الكلي فحسب ، بل تؤدي أيضاً إلى التماسك الجزئي الذي يتعلق بمتتاليات الجمل على المستوى العميق (16).والعلاقة التواصلية بين المنتج والمتلقي ، والتأثير الذي يتركه النص عند المتلقي القادر على فك رموزه إذ لا وجود لدليل على قصر النحو على الجملة فقط ...فدراسة تركيبات النص تساعد على الوصول إلى الفهم العميق لتركيب الجمل الفردية (17).

وبناءً على هذا فالنص القرآني نص واحد ، والنظر في معانيه ، تقتضي النظر إلى النص بأكمله ، فهو : « نص يقدم نفسه بوصفه نصا واحدا في إطار السور المتعددة ، وان المعنى يتعدد في بنائه ... بتعدد النصوص المتداخلة في إطار السورة الواحدة ... ...أنه يرتد إلى بؤرة دلالية واحدة في إطار السور المتعددة، هي بؤرة التوحيد»(18).

ومن هنا سيبين البحث مسوغات التقديم والتأخير على وفق مقصدية المتكلم و وظيفة المتلقي في قراءة النص ، وسياق الموقف، وهدف النص وموضوعه، والظروف التي صاحبت عملية التواصل ، وعلى النحو الآتي :

ذكرت قصة موسى (B) في القرآن كثيرا ، وبآيات متواصلة ، بأسلوب يختلف من سورة إلى أخرى . وبعد تتبعي للسور التي تقدَّم فيها موسى(B) على هارون (B) والتي تأخر في غيرها توصلَّ البحث إلى ما يأتي :

الترتيب التوقيفي المعجز للسور والتدرج في عرض القصة وإبراز الهدف الأول وهو :

1. الوحدانية لله T، وهذا ما طغى على القصة في سورة الأعراف بشكل عام من بداية السورة إلى نهايتها ، وهذا ما حصل مع موسى (B) حين بعثه الله T فأول شيء هو الإقرار بالوحدانية لله T .
2. إثبات وحدانية الله T من خلال معجزة محمد (7) وهي القرآن ، الذي يتناسب مع بيئة العرب ولغتهم التي جاءت على السليقة ، فهو بلغتهم لغة الشعر والخطب ، والشاعر أداته اللغة فعندما يرى تلك اللغة تجسدت في القرآن بهذا الشكل ، فهو أعلم من غيره بصدق تلك المعجزة ، فما عليه إلا أن يقول آمنت برب محمد ، فخطابه للرسول (7) أن يلقي بيناته لقومه ولا يكون في صدره حرج : قال T في

بداية سورة الأعراف . وهذا ايضا يتناسب مع معجزة موسى (B) المناسبة لبيئة قومه . لذلك آمن السحرة برب موسى (B) الذي كانت كل القصة ، تهدف إلى إثبات الوحدانية ، من خلال المعجزة . وهذا أول سبب في تقديم Π رب موسى O . وهو السياق الطبيعي ، فالمسؤولية تقع ابتداءً على عاتق النبي ، ثم وصيِّ النبي (7) .

3. في قوله T : ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ عند هذه الآية في سورة الأعراف، يمكن أن يُعلل قوله T :﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ في سورة طه ، فهو ليس خوفا ، دفع السحرة لتقديم هارون (B) على موسى□(B)□، وانما سبب آخر ، سيوضحه البحث ، عند بيان التقديم في سورة طه والله أعلم .

4. في سورة الأعراف ، وردت قصة موسى (B)□، لتبرز قوة موسى (B) وصموده أمام فرعون وحاشيته من جهة ، فكان اسمه يتكرر بين السياقات ، إما ناصحا ومرشدا ، و إما مهددا موعدّا ، فقد كان هدف القصة في سورة الأعراف : بيان دوره في تحمل الرسالة ، وخصوصا أنّ قوم موسى (B) غلبت عليهم كل الصفات السلبية من جهة أخرى ، وهذا السبب الثاني .

5. لم يبرز هارون (B) في سورة الأعراف إلا في بعض المواقف ، مشارا إليه مع أخيه ، ربما وردت هذه الإشارات تمهيدا لدوره في تحمل النبوة مع أخيه (B) ، والموقف الوحيد لهارون (B)□الذي بدا واضحا في السورة كلِّها ، هو ما ورد في قوله T : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ ولكن ضعف هارون (B) ليس نابعا من عجزه ، و إنما خشي أنْ يتفرق بنو إسرائيلَ فيظن موسى (B) أنه عصي أمرَه ، وهذا ما أقرّته الآية الكريمة في سورة طه : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ .

6. يبدو واضحا من سياق الآية الكريمة ، موقف هارون (B) ، وهذا هو السبب الثالث لتقديم موسى على أخيه (B) . فالسورة كلّها تركز على موسى (B) ؛ لأنه الرسول والمسؤولية الأولى ، والكبرى تقع على عاتقه . وهذا ما توحي به الآيات : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا

طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ، ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ ﴾

7. إنَّ قصة موسى في سورة الأعراف بيان لأمور عامة كثيرة جدا ، أولها التوحيد ، وبيان موقف موسى (B) مع اليهود الذي يتطلب منه صرامة ، وقوة ، وتحملا للمسؤولية ، وغير ذلك من الأمور البديهية للقائد ، أو للرسول الإلهي . فلكل تلك الأسباب ، المتعلقة بالسياق البعيد ، صار التقديم ، أروع ، وأجمل ، هذا فضلا عن الدلالات التي يحملها سياق الآية والنص الخاص بالقصة ، ثم أخيرا تأتي الفاصلة القرآنية لتشكل مع كل تلك المعاني ، جمالية في الترتيب المنطقي للأشياء .

أما سورة طه :

هنا تأتي القصة ذاتها ، بذات الشخصيات ، ولكن مع عدول غريب ، حيث أخرّ موسى (B) على هارون (B) ، والمعلوم أنَّ موسى أحقُّ بالتقديم من أخيه .. ونظرة دقيقة للسورة ، ستبين سبب هذا العدول ، إذ يبدأ الخطاب القرآني في سورة طه بمواساة النبي (7) بعد أن أشقاه أمر قومه ، وتبقى دلالة التوحيد والقرآن مسيطرة على الآية ، ولكن يدخل معها الحال النفسية للنبي ، إذ شقّ عليه ارتداد قومه ، فلا مثال ممكن أن يصور شقاء الأنبياء ، كشقاء موسى (B) مع بني إسرائيل !، فجاء الخطاب تثبيتا لقلب النبي (7) ، ومواساته ، ولهذا سُلِط الضوء على الأمور النفسية في القصة ، وبروز شخصية هارون (B) ، وسيبين البحث ، أهم نقاط تقديم هارون (B) على موسى (B) ، على النحو الآتي :

1. تناسب بداية الآية﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ - التي تصور الحال النفسية للرسول الأكرم (7) - مع خطاب موسى (B) لربِّه T ، بعد أن كلّفه بالذهاب إلى فرعون ، وهنا تكمن تلك المناسبة ، فتشقى عبارة قامت مقام صورة كاملة ، فلم يحدد نوع الشقاء ، بل تُرِك مفتوحاً مطلقا ، فالشقاء معنى عام يوحي ، بأكثر من معنى ، تتضمن ضيق الصدر ، وعسرة الأمر ، وعقد اللسان ، وبدل أن يحدد نوع الشقاء ، عدل إلى قصة شقاء موسى (B) ، تارة ليخفف عن النبي (7) ، وتارة أخرى ، ليدع المتلقي يربط بين الشقاءين ، فالنبي (7) لا يستطيع إقناعهم بنبوته ، كلّ ذلك بسبب حجم المسؤولية المناطة لمحمد(7) بوصفه خاتم النبيين ، مرسل إلى الناس كافة ، باختلاف الأجناس ، والأطباع و البيئات ، وأما موسى (B) فلا يخفى أمر اليهود مذ وجدوا إلى هذا اليوم . لكل هذه الأسباب ، نجد أنّ الله T حين خاطب موسى (B) :﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ سرعان ما ردَّ موسى (B) بدعاء طويل :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾

وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾هنا نصل إلى أول مسوغ من مسوغات التقديم لهارون (B) ، هو : طلب موسى من الله T إشراك أخيه هارون في أمره ، وما ان قال : أشركه في أمري حتى نجد أن أسلوب الخطاب تحول من المفرد إلى المثنى ، ودليل هذا قوله T مبنيا للمجهول ، دلالة على قضاء حاجة موسى . ومن هنا صار تقديم هارون (B)تقديما منطقيا ، بعد أن أشركه الله T في أمر أخيه (B) . وهذا ما تؤكده الآيات التالية : ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ ، وقوله T في سورة (المؤمنون) ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴾ . هذا السبب الأول .

2. ذهاب موسى (B)إلى ميقات ربِّه ، واستخلافه لهارون(B)، وهذا ما أشارت إليه سورة الأعراف: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ فهو في هذا السورة ، مسؤولٌ عنهم ، حتى يعود أخوه . فصار التقديم أولى.

ويؤيد هذا الرأي قوله T في سورة طه: ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾ وقوله : من قبل ، يؤكد خلافته عليهم ، واشتراكه مع موسى في حمل الرسالة الإلهية ، فالقرآئن التي منحتها السورة هنا ، تستدعي تقديم هارون (B) على موسى (B) . والتي لم تكن متوافرة في سورة الأعراف .

خلاصة القول : إنّ النظر إلى القرآن بوصفه كتاب الله T المعجز ، و الخالد ، يلزم الباحثين دراسة المعنى على مستوى النص بأكمله بدءاً بالسور ، ثم ربطها

بالسورة التي قبلها والتي بعدها وهذه الطريقة في تحليل النص و تحدد المعنى هي المرتجى لرفع التعدد في المعنى والاحتمالات السطحية عن الآيات في القرآن المجيد(19) . فالمعنى لا يتحدد على مستوى الجمل والنصوص المنجزة فحسب ، بل ينبغي أن نبحث عن التماسك بين النصوص وما يحيط بِها، في الخارج وهذا يقتضي البحث في العلاقة بين النص والسياق المحيط به ، فنبحث عن أسباب النزول ، وعلاقة النص بالموقف لزمن النزول ، وعلاقة النص بالواقع ، فالعلاقات بين الجمل في متتالية نصية تشمل العلاقات الداخلية ، وامتداداتِها الخارجية . ولا تخفى أهمية السياق في التحليل النصي عند خفاء الروابط أو غيابِها في تحديد احتمالات المعنى .

ولعل عبد القاهر الجرجاني (471هـ) أفضلُ من عالج موضوع التماسك النصي على المستوى الدلالي ، إذ بنى نظرية النظم على التعالق بين الألفاظ والجمل ، فهو يرى أن المستوى العالي من النظم هو الذي يتسم بالتماسك، وهو : « أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن يحتاج إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك. نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدٌّ يحصره، وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتَّى، وأنحاء مختلفة » (20).

هوامش البحث

(1) ظ: مثلا : السكاكي : مفتاح العلوم :345-346، و ابن الأثير : المثل السائر :218/2 وما بعدها، و الزركشي : البرهان في علوم القرآن :153/3 .
(2) عبد القاهر : أسرار البلاغة :7-9 .
(3) الأعراف: ١١٤ - ١٢٢.
(4) طه : ٦٥ - ٧٠ .
(5) الشعراء: ٤٣ – ٤٨ .
(6) سورة طه:70.
(7)سورة الأعراف:112، سورة الشعراء:48.
(8) البرهان:61/1، الإتقان:357، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:932/1.
(9) ظ : البرهان :62/1 ، و السيوطي : الإتقان :357، و التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم :932/1.
(10)ظ : تومان غازي : سيميائية الإيقاع : 124 – 126 .
(11) سورة طه:67-68.
(12) تومان غازي : سيميائية الإيقاع : 124 – 126 .
(13) الزركشي : البرهان : 1/ 62 ، و السيوطي : الإتقان : 3 / 369 ، .
(14) ظ : محمود السعران : اللغة والمجتمع : 30 .
(15) ظ : برند شبلنر : علم اللغة والدراسات الأدبية : 185 .
(16) ظ : صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص : 266.
(17) ظ : جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق : 219.

(18) منذر عياشي : اللسانيات والدلالة : 97 .
(19) ظ : سعد مصلوح : في اللسانيات العربية المعاصرة : 238
(20) عبد القاهر : دلائل الإعجاز: 93.

قائمة المصادر و المراجع

(1) السكاكي : أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (626هـ) : مفتاح العلوم : تحقيق أكرم عثمان يوسف . دار الرسالة . بغداد . ط . 1982 .
(2) ابن الأثير : ضياء الدين بن الأثير(ت638هـ) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وحققه وعلق عليه د.أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر،ط1(380هـ/1960م) .
(3) الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794 هـ) : البرهان في علوم القرآن : تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ، 1376 هـ – 1957 م .
(4) عبد القاهر الجرجاني : أبو بكر، بن عبد الرحمن بن محمد النحوي(ت 471هـ) ، أسرار البلاغة ، تعليق : أبو فهد محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ، د.ط ، 1966م.
(5) تومان غازي : سيميائية الإيقاع والفاصلة في القرآن الكريم ،رسالة في إعجاز المستوى الصوتي ،ط1(2011م-1432هـ)،مطبعة شركة المارد- العراق – النجف الاشرف .
(6) محمود السعران : علم اللغة ، مقدمة للقارئ العام : دار الفكر العربي - القاهرة ، د . ط- 1999م
(7) صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص : عالم المعرفة د.ط ، 1992م .
(8) جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق : ، ترجمة : د. عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط / 1 ، 1987م .
(9) منذر عياشي : اللسانيات والدلالة : مركز الانماء الحضاري ، ط2 ، بيروت2007.
(10) سعد مصلوح : الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، د.ناشر ، ط3 ، 1992م .